

ANA



اشباح الوطن

تأليف: سجي ناظم

اشباخ الوطن

في السادس والعشرين من أكتوبر عام ٢٠١٩
اذكر ذلك اليوم جيداً , كانت تتطاير قنابل الغاز في كل مكان ,
فجأة شعرتُ وكأن كل شيء اختفى
لا يوجد احد
لا اعلم اين ذهب رفاقي
لا احد هنا سواي
شعرت وكأن كل شيء يشدني الى الماضي , وكأنني عدت الى اول
انفجار رأيته عام ٢٠٠٦ , وقتها كنت عائداً من المدرسة وكنت امشي
ببطئٍ على غير عادتي
وكان شيء يقول لي لا تستعجل يا سومر,,, لا تستعجل ابداً
حتى اني اذكر تلك المرأة , التي ساعدتني لأعبر الشارع وابتسمت لي
كم كانت تلك الابتسامه رائعه , كم جعلتني سعيداً , بعد ان
تركنتي لتكمل طريقها رأيت سيارة سوداء اللون , شعرت بالخوف
الشديد من هذه السيارة
فجأة توقفت هذه السيارة بجانبني وكنت أحاول الابتعاد عنها لكنها
انفجرت قبل ان اتحرك اساساً ...

فجأة اصبح المكان مليئاً بالدخان
كانت الدماء قد ملئت الشارع, هذا آخر ما اذكره بعدها,
لم افتح عينائي الا في المستشفى ,
-بني انت بخير الآن !!
آآه اشعر بالنعاس ولا استطيع الحركة !!
اين هو ابي هل عاد ؟؟!
اجابتنى بأرتباك شديد , لا يا بني سوف يتأخر ,
كان ابي ضابطاً في الجيش العراقي , كنت اشتاق له كثيراً كان
عمري حينها سبع سنوات , في وقتها لم اكن استطيع اللعب مع والدي
كثيراً , قبل ان يلتحق بواجبه في الجيش , كنت اعوض غيابه
بالقراءة , لطالما كانت الكتب تملئ فراغي
كانت تلك الروايات والقصص تأخذني الى عالم آخر , لم يكن لدي
العديد من الأصدقاء , لم اجد احداً بعمرى يشاركني افكاري .

كان عام ٢٠٠٦ عاماً صعباً جداً على جميع العراقيين , مازلت اذكر
كل ما حصل من انفجارات واعتقالات وفقدان , كنت اذكر تلك
المرأة التي تقف امام باب المنزل كل يوم تنتظر عودة ولدها ,

الى صغيري سومر,,

اشتاق لك كثيراً كل دقيقة كل لحظة اشتاق لرائحتك اشتاق
لصوتك

اشتاق الى كلامك المتواصل عن الكتب

سمعت عنما حدث لك ,, انا حزين لانني لم استطع الحضور , كما تعلم
ان الأوضاع ليست مستقرة بما فيه الكفاية , لا استطيع ان افعل شيء
سوى ان التزم بعملتي كعسكري , تعلم كم احب هذا الوطن وتعلم
جيداً اني لا استطيع هدر فرصة واحدة حتى استطيع المساعدة , اشتقت
الى شوارع بغداد كثيراً

بغداد الجميلة ,, اعدك اني سأعود في اقرب وقت

من والدك

نعم هذه هي احد الرسائل التي كانت تكتبها امي محاولتاً جبر
خاطري وعدم التطرق الى ان والدي قد استشهد , لكن مع ذلك كنت
استمتع بتلك الرسائل واقدر مجهود امي بأنها ارادت ان لا اتأثر بفقدانه ,

كانت فترة العلاج صعبة جداً بدأت اشتاق للمنزل

بدأت اشتاق للمدرسة, كنت اشعر بالوحدة كثيراً خصوصاً ان عمل
والدتي في المستشفى يستغرق ساعاتٍ طوال
في الليلة السابقة...

أتت لتتحدث معي لكني تظاهرت بالنوم...

لكنها أتت اليوم

دخلت الى الغرفة

سومراً!

(نعم يا امي!

اريد ان أتكلم معك في موضوع مهم

تفضلني

- البارحة صدر امر نقلي الى مدينة الموصل

- امي لا اريد ان اترك بغداد ,, ارجوك

- يا بني ان الموضوع قد حسم !!

وهكذا ودعت بغداد الحبيبة مدينتي ومدينتا ابي , كنت اشعر

بالخذلان تجاه نفسي , وعدت نفسي ان سأحارب أي شيء يذكرنني

بأبي , لم احارب ولم احرك ساكناً

مدينة جديدة

وحياة جديدة ومدرسة جديدة

لم يتغير الكثير على امي لانها ترعرعت وعاشت طفولتها في الموصل
كان هناك صفة واحدة مشتركة بين امي وابي وهي ولائهما للعمل
وكم ان العمل هو كل شيء بالنسبة لهم,, او هذا ما كنت اتصوره
كانت تذهب امي الى المستشفى في الصباح الباكر قبل الفراشة,
كانت بغداد مسقط رأس ابي ومسقط رأسي وكان يحب مدينته
واحبتها لحيه

لم يأخذ معي سوى بعض الأسابيع حتى تعودت على الوضع وعلى
المكان وعلى الناس وعلى طريقة الكلام

كانت الموصل تجمع جميع الأطياف هذا ما ساعدني على أن لا أحس
بغربة



كانت الأيام الأولى في المدرسة صعبة علي
لم أستطع التأقلم ببساطة رغم أن لأطفال كانوا لطيفين معي حتى
كان هنالك ولد اسمه أحمد كان

دائماً يحاول بناء صداقة بيني وبينه كان يحب الكلام عن الأفلام
والمسلسلات سرعان ما تطورت هذه الصداقة أصبحت أنه أخي أقول له
كل شيء عن أسراري ومخططاتي وأحلامي وكان هو الآخر
يشاركني كل ما يحدث في حياته

بدئت أشعر بالانتماء تجاه هذه المدينة أصبحت أحب يوم الخميس لأن
أمي كانت تأخذني به إلى اكتشاف الآثار في المدينة كنت أدون
كل ما أراه

وكانت فرصة لتتكلّم أنا وأمّي أكثر

أصبحت أقرب بعد فقدان والدي الذي سكن قلبي من يوم وفاته كل
ما تذكرت أنه مات لا أشعر بالحزن

أبدأ بل أشعر بالفخر والاعتزاز لأنه مات من أجل هذا الوطن مات ليعيش
الوطن

في السادس من شهر حزيران عام ألفان وأربعمائة عشر

شعرت أول مرة بأن تكون محتل وأن تنفرض عليك أفكار المحتل
وقوانينه شعور أن تكون الموصل محتلة مخيف جدا فأنا لا أعلم متى
سينتهي هذا الأحتلال ولا أعلم إذا أنتهى سأكون على قيد الحياة

في أول سنة من الأحتلال كان يجب علي الذهاب إلى المدرسة والتعلم
لم أشعر باختلاف كبير في المدرسة لكنني أفقدت وجود المدرسات
بيننا فهم نقلو إلى مدارس خاصة بلبنات

أذكر أن المدرسين كانوا يربون اللحى وكانت أمي ترتدي النقاب بعد
أن كانت سافرة

كان الوضع هادئ وهذا الهدوء يخيفني جدا فهو الهدوء ما قبل العاصفة
أو أن العاصفة أتت من دون أن نشعر حتى



كان المدينة أسودت وكان قلوب من يسكنوها أختلفت , لكنهم
كانوا متحرزين لا اكثر لا احد مستعد ليذبح هو وعائلته في
الأسواق ..

الصابئة والمسيحيون والأيزيديون تهجرو من بيوتهم وحتى المسلمين
أيضاً لأسباب لم أكن أفهمها
الغريب أنهم يضمنون ان هذه الأرض لهم فقط وأنهم الأحق بها وكان هذه
الأرض تخصهم كثيراً رغم انهم ليسوا منها اساساً.

لا أعلم مالذي كان يحدث كانت تقتل الأرواح
في الشوارع لسبب او بلا سبب
قد تخسر رأسك إذا فتحت فمك وأعرضت

دمرو تلك التماثيل الذي تحمل حضارتنا وكأننا نعبد هذه التماثيل
حتى الجوامع والكنائس دُمرت ودمرت معها جميلتي الموصل.

قبل بداية ٢٠١٧ تحرر جانب المدينة الايسر وبهذا تحررت من
الكابوس الطويل الذي لم اصدق انني خرجت منه حياً بلا خدش حتى

...

كان الجميع سعيد رغم أن المدينة لم تحرر بالكامل إلا أن السعادة
قد غمرتني أنا شخصياً

كان الجميع يحتفل بطريقته الخاصة كان هنالك من يصرخ ويغني
للجيش العراقي ليعبر عن أمتنانه لهم وكان هنالك من أستقبل
الفرحة بلبكاء لعدم تصديقه أنتهاء هذا الكابوس المؤلم

كان النوم في أول ليلة غريب جداً علينا أن ننام دون أن نسمع صوت
الطائرات وهي تحوم فوق المدينة دون أن نسمع صوت الأطلاقات النارية
في الأحياء كانت المشاعر مختلطة بين الأستغراب والسعادة



في العاشر من يوليو عام ألفان وسبعة عشر تم تحرير الموصل من تنظيم
داعش

كان نفس يوم سفرنا إلى ألمانيا هذا ماقررتة أمة رفضت الأستجابة لي لم
أرد مغادرة العراق لكنها حجزت الطائرة وأخذتني معها

والآن أصبح لدي مهمة جديدة وهي أن أتأقلم في مكان جديد

ومجتمع جديد

يجب أن أتعلم لغة جديدة لأستطيع أكمال دراستي والأستقرار كما
تريد أمي كنت أشعر بالأحباط لأنني تركت أرضي تركت كل ما
أحب تركت كل ما أحب تركت بغداد التي أحبها ويحبها أبي
تركت بغداد التي لطالما تمنيت أن أعود لأراها

كنت أشعر بأنانية أمي وتسلطها علي

دائما تحاول حمايتي وكأنني ذلك الطفل الصغير العاجز عن فعل أي
شيئ

كانت أمي تعمل بأحد مستشفيات ميونخ لا أذكر أسمها حتى

وأنا لم أجد شيئ سوى الدراسة كنت أدرس أكثر مما يلزم وأقل مما
أريد رغم كل شيئ كنت أريدها أن تفخر بأبنها الوحيد.

سأكذب إذا قلت أنني أحبها بحياتها لم تهتم لأمرى أو تسألني إذا كنت
بخير لا تريد سوى أن يمدحها الجميع كم أنت أم صالحة كم أنت أم
قوية وناجحة كيف تستطيعين الموازنة بين عملك وحياتك
لا تريد سوى هذا

يا ليتها تحن علي وتحتضني عندما أحزن لتخفف آلامي هي أنانية
كثيرا لن تفعل هذا هي حنونة على مرضاها أكثر مني

بعد إنهاء المرحلة الأخيرة من المدرسة حان الوقت لأختيار الجامعة
المناسبة اخترت القانون هذا ما كنت أريده منذ وقت طويل عسى أن
أستطيع مساعدة غيري بشيء بسيط

كنت أفكر أن أعود إلى العراق بعد إنهاء الجامعة فهو وطني ولا أحد
يستطيع احتضاني غيره

في بداية الشهر العاشر من عام ٢٠١٩ بدأت أسمع عن الثورة

وكم أن الجميع ذهب إلى ساحة التحرير أمام نصب الحرية للمطالبة
بحقوقهم أردت الذهاب أردت الذهاب وبشدة كنت أحتاج شيء يعيد لي
الأمل من جديد لطالما أقتعت أن ثمن السكوت غالي وبرأي

كل ما يحدث في العراق هو ثمن السكوت الطويل والتعود والتأقلم
بدل الاعتراض بدل الوحدة التي كنا نحتاجها جدا كنا بحاجة لشيء
يوحدنا من جديد.



كنت على يقين بأن أمي رافضة للموضوع تماما وأن قلت لها ستمنعني
كنت مضطرا أن أخفي عنها

الموضوع ذهب وحجزت دون علمها كنت سعيدا جدا لأنني سأعود
لرؤية العراق من جديد لرؤية تلك

الوجوه الجميلة التي تنير بلدنا رغم وضوح علامات التعب عليهم إلا أنها
جميلة كوحدة العراقيين وهي

رمز كنبص الحريرة وعتيقة كقلعة أربيل وشامخة كمنارة
الحدباء وكم هي عالية كنخل البصرة.

أخذت أغراضي ورحلت في الصباح الباكر
كانت تغمرني السعادة لأنني سأعود إلى وطني
بعد سفر لساعات طويلة وصلت إلى بغداد
كانت روائح الأكل تملئ الشوارع
لطالما أشتقت لها كانت ثلاث سنين عجاف حتى سنين احتلال الموصل
كانت أهون علي
تمنيت أن تكون أمي مع ترافقني وتساندني

مع الأسف حرصها الشديد علي جعلها تنسى كل شيء جعلها تنسى
وطنها جعلها تنسى أهلها ومدينتها جعلها تنسى حتى أبي الذي ضحى
بروحه لأجل هذا الواطن وهي ترفض حتى العودة إليه.



كان هنالك الكثير من الناس رجال ونساء شيوخ وحتى أطفال كان أول أيام الاعتصام في ساحة التحرير أمام نصب الحرية كان الجميع مستعد للتضحية بكل شيء بأرواحهم وقلوبهم ووقتهم ومستقبلهم من أجل هذا الوطن

شعور الهروب من دون أن تعلم أمي بداء يختفي لأنني لم أكن الوحيد الذي لم يخبر أمه عن ذهابه

كان أول يوم رائع مليئ بفرح والقوة والصمود رغم كل الأطلاقات النارية والمياه الساخنة التي كانوا يستخدموها لأبعدنا عن ما نريد لمحاولة تخويفنا شعرت للحظة وكأن التحرير أصبحت منزلنا

أصبحت المكان الآمن الذي يذهب إليه الشعب كانوا يأتون من المدن الأخرى للمشاركة معنا والذين لم يستطيعوا القدوم كانوا يعتصمون في ساحاتهم ومدنهم.

في صباح السادس والعشرين من أكتوبر امتلئت الساحة بأصوات
النيران فقدت الرؤية بسبب الغاز المسيل للدموع فجأة شعرت وكأنني
أريد النوم كنت أرى أبي كان ينظر لي بشكل غريب وكأنه كان
يقول تعال ياسومر لنعود إلى بيتنا القديم لناخذ أمك معنا أيضا ونعود

كما كنا سابقا

لكن أحتضني أولا كما كنت تفعل هيا تعال

ذهبت إليه وأحتضنته إلى الأبد

...

أتى ذلك اليوم الذي يأخذني إلى النوم الأبدى

...

أخذني من أرض أب وأجدادي القدماء

إلى قبورهم

